المحاضرة:06. « ما ذكره الكوفيون من الإدغام » لأبي سعيد سيرافي (ت 368هـ).

أولا: التعريف بالكاتب:

سبق التعريف بأبي سعيد السيرافي، في المحاضرة الثانية في شرح كتاب سيبويه .

ثانيا: التعريف بالكتاب:

1 ـ عنوانه:

أخذ عنوان الكتاب من كلام سيبويه في الباب الذي ألحقه في آخر شرحه لكتاب سيبويه ، وهو « هذا باب أفردته بعد الفراغ من إدغام كتاب سيبويه وتفسيره، لذِكْر، ما ذكره الكوفيون من الإدغام»[1].

والإدغام لغة هو إدخال شيء في شيء، يقال: إدخال اللِّجَامِ فِي أَفواه الدَّوابِّ. من أَدْغَمَ الفرسَ اللجامَ: أَدخله فِي فِيه[2]. أما اصطلاحا فهو " وصلك حرفا ساكنا بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما، ولا وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد"[3].

فالإدغام أداء صوتي مفاده إدخال الصوت في مجاوره، حتى يكونا صوتا واحدا مشدّدا، وهما إما أنْ يكونا متّلين أو متقاربين. وسبب هذا الإدخال هو ثقل النطق الناتج عن تجاور مخرجي الحرفين المتقاربين أو غيرها[4].أمّا هدفه فهو التّخفيف النطقي واقتصاد جهد اللسان[5].

2 ـ مقدمته:

هذه الرسالة عنوانها (ما ذكره الكوفيون من الإدغام) للسيرافي بدأها بتمهيد قصير جدّا، بيّن فيه أنّه أفردها بعد الفراغ من إدغام كتاب سيبويه وتفسيره ، لذِكْر ما ذكره

---

[1] . ينظر : ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تح: صبيح تميمي، دار البيان العربي، جدة ، ط1، 1985، ص59 .

[2] . ينظر : لسان العرب ، 12 / 203 .

[3] . محمد بن سهل بن السراج ، الأصول في النحو ، تح: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1985، 3 /372 .

[4] . السيرافي ، إدغام القراء ، شرح وتحقيق: فرغالي سيد عرباوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص34.

[5] . السيرافي، إدغام القراء، تح: محمد علي الرديني، دار الشهاب ، باتنة ، ط2 ، 1985، مقدمة المحقق،الصفحة غ .

الكوفيون من الإدغام، وذكْرِ الشّاذ. ثم بيّن أنّ بعضه يخالف مذهب سيبويه. وأنّ مذهب الكوفيين قليل لا يستوعب الحروف ، فلم يصنّفوا الحروف على ما صنّفه سيبويه،ولم يلقّبوها كتلقيبه[1].

2 ـ مضمونه:

بعد فراغ السيرافي من شرح كتاب سيبويه . كما سبق . ختمه ببابين في الإدغام؛ الأول منهما عنوانه: «هذا باب أفردته بعد الفراغ من إدغام كتاب سيبويه وتفسيره»[2]. وثانيهما عنوانه:«هذا باب إدغام القراء»[3]. يقول في الأوّل موضوع محاضرتنا:" هذا باب أفردته بعد الفراغ من إدغام كتاب سيبويه وتفسيره، لذِكْر، ما ذكره الكوفيون من الإدغام"[4].

وهي رسالة صغيرة تضمّ إحدى عشر مسألة ذكرها الكوفيون؛ أوّلها (تلقيب الحروف) وآخرها (قياس باب أحسست). جمَع فيها السيرافي عدّة مسائل صوتيّة، عالج فيها أعلامُ الكوفة جوانبَ من ظاهرة الإدغام، وخالفوا فيها سيبويه. ومن هؤلاء الأعلام الكسائي والفراء وثعلب. وقد قدّم الآراء الكوفية المختلفة وحتى البصريّة وحججَها وناقشها، ويُقرّ ما اقتنع به، ويبطل غيره، مدعّما في كل الحالات بالأدلة. وهي رسالة لم تشمل على كلّ ما قاله الكوفيون عن هذه الظاهرة وخالفوا فيه سيبويه ، وتعكس لونا من ألوان الخلاف العلمي بين العلماء .

3 ـ مادّة الكتاب:

تضمّن الكتاب بعض المسائل المتضمّنة آراء بعض أعلام الكوفيين في الإدغام، كالفراء وثعلب والكسائي، وبعض أعلام آراء البصريين، وما سُمع عن العرب في هذه المسائل ، مع أدلتها المختلفة؛ مما قالته العرب في كلامها وما كرهته، ومن الشعر العربي والقرآن الكريم.

---

[1] . ينظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، ص59 .

[2] . شرح السيرافي على كتاب سيبويه، تح: أحمد مهدلي وعلي سيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2008 ، 462/5 .

[3] . شرح السيرافي على كتاب سيبويه ، 5 / 462 .

[4] . ينظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، ص59 .

4 - منهج الكتاب:

يبدأ السيرافي مسألته بالرأي الكوفي، ثم مناقشته والاحتجاج عليه. وهذا الاحتجاج جاء متنوعا:

• يحاول إبطال الأساس الذي بُني عليه الرأي الكوفي،ونجد ذلك في المسألتين الثانية والثالثة.

• وفي المسألة الرابعة قلّب الاعتراض الكوفي الغامض على وجوهه المحتملة وأجاب عنها بوضوح .

• وفي المسألة السابعة والحادية عشر، اتّخذ من عدم موافقة الفراء لشيخه الكسائي دليلا للردّ عليه .

• اتخذ من عمومية الرأي الكوفي ، واعتباره الأبواب مجملة معتمدا للرّد.

• اتّكأ على رأي سيبويه وجمهور البصريين ، وعدم روايتهم للرأي الكوفي، ولم يحفل بما أُثر عن الأخفش البصري .

• وقد تضمّنت ردودُ السيرافي شواهد بمصادر التوثيق المعروفة من قراءات قرآنية أو بيت شعري ، أو قول لغوي[1]. وقد تميّزت الرسالة بـ :

• تفاوتَتْ مسائله في الطول .

• شرْح كلام الأعلام ومصطلحاتهم ، بقوله مثلا عن الفراء :" وأظنّه أراد بالمُصوّت ما جرى فيه الصّوت... وأراد بالأخضر الحروفَ الشديدة التي يلزم اللسان فيها مكانَه"[2] .

• استعمال التعليل بكثرة ، بعد عرْض الرأي ، كأنْ يقول:"وهذا كلّه خطأ فاحش في باب الإدغام،لأنّه..."[3]،أو" وهذا مستشْنع منكر لا يقوله أحد"[4]، أو"هذا كلام غير صحيح،لأنّ..."[5].

---

[1] . ينظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، ص48 .

[2] . ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، ص59 .

[3] . ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، ص61 .

[4] . ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، ص62 .

[5] . ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، ص63 .

• الرّد على الفراء وثعلب وتقديم الأدلة على آرائه، من ذلك بعد أنْ قدّم رأي الفراء عقّب قائلا:" والذي قاله فاسد من جهات"[1].وترجيح أحد الأراء، مثل:" والصحيح ما قاله سيبويه"[2].

5 ـ قيمتــه:

تعدّ الرسالة من المصادر الأولى النادرة عن دراسة الكوفيين الصوتية. فقد جمعت آراءهم التي كانت مفرّقة في الإدغام وهي . وهي تذكر مصطلحات جديدة لم تُعرف عند غيرهم . وفي بعض المسائل دعّم السيرافي آراءَ الكوفيين التي اقتنع بها، بشواهد عديدة ومختلفة، مثل المسألة الثانية .

6 ـ مآخذه :

• عدم ذكْر كلّ ما قاله الكوفيون في الإدغام . فممّا لم يرد ذكره في الرسالة: " إدغام الراء في اللام" ، و" إدغام الفاء في الباء في إحدى قراءاتهم القرآنية"[3] .

• انعدام تنظيم الأبواب وترتيب بالموضوعات (انعدام العنْونة).

---

[1] . ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، ص77 .

[2] . ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، ص62 .

[3] . ينظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، ص37.